

المسحاة

مجلة

المجلد التاسع عشر
الجزء الخامس



إهداء من

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

المسحاة

١٣١٥

أوتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الأول ١٣٣٥ — ٤ الدلو (ش ٢) ١٢٩٥ هـ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

٢

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق لأول الميزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب المحمل المصري من القاهرة الى السويس وأذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويتبوءوا أمكتهم من الباخرتين اللتين أعدتها لحملهم الى جدة. وبينما أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ما ينبغي شراؤه وترتيب ما تقرر رحله، واعداد ما تحتاج اليه الدار، وإدارة المنارة خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناسك الحج أرين فيها أحكامه وحكمها بعبارة سهلة، مأخوذة مما صح في السنة، وأن أطبعها وأحملها معي هدية للحجاج الذين أصبحهم وألقاهم. فترعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكنت أكتب عدة أسطر ثم أترك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري. ثم اثني اضطرت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة، ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل خارج المكتب والدار، فتعذر الجمع بين اكمل المناسك والسفر في يوم الجمعة فأكلت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر، اذ تمين أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت، فاضطرت بعد جمع حروفيهما ليلا الى اختصار الاولى بالحذف من عدة مواضع منها، وطبعت بعد ان نمت فلم أتمكن من تصحيحها، فلذلك كثرت أغلاطها، وتعذر على المطبعة أن تجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ فاكثفنا بحمل مئات منها ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين الوالدة والشقيقة قبيل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت بوضع دقائق، وكان ركب الحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم، وودعنا في المحطة الأهل والأخوان، وخاصة من علم بموعد سفرنا من الخللان، وقد كنا بلونا لوعة الوداع بتعدد الأمهات، وكان أشجاءها وداع الوالدين والأقربين والأصدقاء عند الهجرة الى هذه الدبابة، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوعة توديع الأهل والأولاد لأنني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زوجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شمرية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفري الاول كثيرا مما قاله الادباء والشعراء في الوداع، وحفظت من أشعارهم ما لا يسهل علي أن اتذكره الآن، ولا أحب أن اشغل بالتطويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة، ولا أن أترك الامام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تفيد بوضيرة في علم التربية.

إنني عند وداع الوالدين وذوي القربى والأصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر:

لو كنت ساعة يبيننا ما يبيننا ورأيت كيف نكرر التوديعا
لرأيت أن من الدموع محمدا وعلمت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لأن لسان الفم حبس فخرس، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شعرية كنت شعرت بأنها حقيقة وجدتها في نفسي، وهي أنني وجدت وجد المودع

٤٦٨ درجات الشهور والوجدان وتلاذذ النفس ببعض الآلام [المنار: ج ٨ م ١٩]

ولو عته يساويان وجه جميع من ودعوه وإن كثروا، لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحبابا كثيرين يجد في نفسه من الألم لفراق كل منهم مثل ما يجده ذلك الفرد لفراقه. والصواب أن لكل نوع من أنواع الوجدان والشهور حدا يختلف باختلاف أمرجة الناس ويتفاوت في الأفراد بفوارت ما يثيره في قلوبهم، ولو أمكن أن يوضع للأدراكات النفسية موازين كوازين الحرارة والرطوبة والثقل لأمنا بها أقصى حد لأن ألم الفراق في نفس العاشق الواله، وفي نفس مثل الزوج، لو ألد والوالده وهو إنما يبلغ حده الأقصى إذا كان الفرق بعيد الشقة، أو عرضة للإهلاك، شدة المشتة، كسفر ابن زريق من بغداد إلى المغرب في ذلك العصر، فهو لولا الخوف من الفراق الأبدي لم أحب لما قل في وداعه يومئذ قول العاشق الممثل لما في قواده، لا قول الشاعر المصور لما في خياله:

ودعته وبودّي لو يودعني طيب الحياة واني لا أودعه
كم قد تشفع بي ألا تفارقه والضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث في يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
لأ كذب الله ثوب العذرة منخرق عني بفرقه لكن أرقمه

ذلك بأن وداع الأحباب عند سفر قاصد (قريب) إلى خير مرجو في حرم آمن، ليس كالوداع في سفر بعيد يضاف فيه الأمل، فيما يثيره من الوجد والالام. بل أقول إن النفس تهوى بعض الآلام الحسية، وتجذبها بطونها لذة خفية، كأنه العاشق المستكتم في هجر محبوبه إياه هجر دلالة أو هجر حلال، بما فيه وما يتلوه من تهيج عواطف الحب والوجد والاشتياق، الذي يشبه كدّ الذهن واتعابه في حل المسائل العلمية العويصة، أو اجهاد البدن في بعض الأعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة، في أن كلامنا ذلك جامع بين الآلام واللذة: أو بما يترتب عليه من لذة الشكوى والعتاب كما قالت عليّة بنت المهدي

وأعذب أيام الهوى يومك الذي ترؤّع بالمعجران فيه وبالعتب
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلوات الرسائل والكتب

وإذا كان لكل شعور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به متمي حده واحدا أو متعددا، وإذا كان التعلق في حب الولد أو العشق أو غيرها

من شأنه ان يترتب عليه بلوغ تلك النسيئة وهو قلما يكون الا في حب الآحاد من الأولاد والاحباب فان الحب المتفرق على المحبوبين المتعديدين من جنس واحد كالاولاد أو من عد أجناس لا يكاد يكون الا دون الحد الاقصى — اذا كان ماذكر كما ذكر وهو ما نرهم فتلك القاعدة الشعرية التي كنت كتبها لاتصدق بالاطراد بل الأكثر ازواعة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون الزواعة المقصورة على الافراد هذا وان سفرنا الى الحجاز سفر قاصد لا داء فرض لازم في عام يقل فيه عدد الحجاج فتسهل فيه مراعاة الحكومة لصحتهم والبلاد سالمة من الاوبئة فالرجاء قوي بأن تؤدي الفريضة فيه بالسهولة في مدة شهر واحد ، ففراق الاهل والصحب في مثل هذا السفر ليس من شأن وداعه ان يثر منتهى الاشجان ، وينطق الدموع ويخرس اللسان ، وناهيك بمن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حباله — والدته وشقيقته ، وكم ودغ الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال ضاحكين مسرورين ، وكذلك ودعنا الاهل والاصدقاء في محطة مصر ودخلنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيق ودعنى لاجل القبله الاخير ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ، فاضطربت لوعة فراقهما في سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واعتقل اللسان ، وخائني تلك الارادة التي كنت أكابر بها الاشجان ، والمزيمه التي تعودت أن أملك بها أزمة الوجدان ، حتى عند الصدمة الاولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذاك الا أن ألم توديع الاولاد مشوب بلذة ، لاتستجمع لمه ومته كل قوة الارادة ، وألم مثل تلك الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل المزيمه

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقنا عبد الحميد الراهي شاعر طرابلس الشام في توديع أولاده عند سفره الى الآستانه ، وهو قوله من قصيدة :

لست أنسى ساعة الين وما	هي الافك روح من جسد
رمت فيها الصبر لكن لم أطق	وحبست الدمع لكن لم يكند
وبروحي غررأقبلتهم	الجين الحسن منها مستمد
من صغار كاللاكي جلبجت	منهم الالسن والجفن اطرد
بعضهم أبكاه مرأى من بكى	ليس يدري قط ما اليوم وغد

والذي لاح له معنى النوى
هل سمعتم بالقومي عاشقاً
ليني فارت عيني والحشا
أودعوني عندما ودّعهم
كلهم يفتدني قرب القفا
والذي لا يعرف النطق غدا
أطبق الدمع عليه فارتعد
أنس الظبي به وهو شرد
قبلاً فارت أهلاً وولد
حسرةً كانت من الموت أشد
حاسباً للعود أياماً تعد
نطقه الإيما بعين أوييد

وما يني وبين هذا الصديق إلا أن سفري خير من سفره ، وولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفر ، ونعمي لم تكن أتمت السنة الثالثة وشفيح كان في أول الشهر الخامس عشر ، وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهدى الشهير فضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بعزله عن أعمال الحكومة ، فرحل إلى الآستانة يستعطفه ويسترضيه ، عسى أن يعود بجاهه إلى عمله أو عمل يفوقه أو يدريه ، معلق القلب بين الفوز بالامل ، وبين الخزي والفشل ، لا يدري أيود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة ، فأين السفر إلى تلك العاصمة ، لطلب الرزق من أولئك الباخلين الخلفين ؟ من السفر إلى مكة المكرمة ، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديراً بأن لا تعود إليه السكينة ، إلا بعد أن ينقلب إلى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت إليه سكنته بعد سير القطار بساعة زمنية ، وإنما كان يفكر أحياناً فيما يرجو من الاهتمام بصحة ولديه في غيبته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشير في مثلها ، وقد ضعف التفكير في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام إلى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر

والعبارة فيما بيناه من فلسفة الوداع أن نذكر القاري بأن ألمه هو أول فوائد السفر المهدبة للنفس ولا سيما نفس الوالد ، وقد غفل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد .
وانني رأيت بعض من آثار العزلة وبعض من حرم النسل يظنون ان الولد من منفعات العيش في الدنيا ، لأن غبطة النفس به ، وقررة العين برؤيته ، ولذة الامل بطول عمره وحسن

[المناجاة ج ٨ م ١٩] أوهام العزاب وفاقدي النفس في الولد ٤٧١

مستقبله، لا توازي آلام وداعه عند السفر، والحذر عليه من الموت أو المرض والضرر، دعهم
الوالد في تربته وتعليمه في حياته، والخوف من سوء حاله بعد مماته، ولا سيما إذا كان قليل
المال، وكثر عليه العيال. وما هذه الظنون، إلا من أوهام الكسالى والمحرومين، إلا أن عدم
إقدام فاقد المال أو قليله على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل
في موضوعنا منها وهو لوعة الدواع ومرارة الفراق، وما يتلوها من حرارة الاشتياق،
فهو من أعظم فوائد نعمة الأولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وثقيف عواطفهم،
واعلاء همهم، وتقوية أريحياتهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة الطعم في ذوق الوالد،
كما يستحلي العشاق نجوى الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زيب، ولوقيل المشتاق
أحب أن تحمد حرارة هذا الشوق في قلبك فتسمي لا تذكر من تشتاق ولا تمن
إلى لقائه - لقال لا، وفي معناه قول قيس العامري :

وقالوا لو تشاء سلوت عنها فقلت لهم وأني لا أشاء

ذلك بأن ما يهيج الوجد مما ذكر يشبه نغمت اللحن، المثيرة للاشجان، والحركة
للأحزان، على شهداء الحق في سبيل الإيمان أو الاوطان، الحافزة إلى الأخذ بثأرهم،
والرغبة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويحث عليه الحكماء، وإن
بكاء الفراق، الذي يرجى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل بحسبه من لم
يندق طعمه عذاباً وألماً، وما هو إلا نعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق فعرف: أهل الليل
في ليلهم، أطيب نفساً من أهل اللهو في لهوهم. وقال بعضهم: لو يعلم المملوك ما نحن
فيه لقاتلونا عليه بالسيف. ولا تكمل تربية أحد إلا بركوب الصعاب وحمل الآلام والانتقال
وأبعد تلك الظنون بل الوسواس عن الحقيقة وأغلبها في الوهم ما توسوس به
النفس لبعض المحرومين: إن خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده ويستقل
بنفسه في معيشته، أو يكون له مورد واسع من الرزق يعيش به، ينقص عليه غبطته
وسروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يعد نفسه ويعدده بعض الناس من علماء
الاخلاق، وما هو إلا من أسرى الوسواس والأوهام، فإن تفكر الناس في مستقبل
أولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينقص عليهم هناءهم وغبطتهم
بهم، إلا من شذ من غلاة الموسوسين، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا إلى درجة

المجائزين، وكل نعمة يخولها هؤلاء تكون عليهم تقمة يحرمون لذة وجودها، ويمذّبون بتوهم فقدّها، أو احتمال حدوث مصابب بسببها، ومن غلاة هؤلاء المساكين ديك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لا شتداد شغفه بهما وخوفه أن يموت ويتمتع بهما غيره، ويقرب منه ذلك العاشق المنسكين، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال العينين، لامن الماء والطين، فاستوى عنده القرب والبعد، والوصل والصد، فهو يبكي من بحب في كل حال، كما وصف نفسه فقال:

فأبكي ان نأوا شوقا اليهم * وأبكي ان دنوا خوف الفراق

انابعد توديع من ذكرنا ركبنا وحدنا في مخدع من مخدع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي ولكننا لما انتقلنا مع سائر الركاب في الاسماعيلية الى القطار الآخر ألفينا قطاراً رديئاً وقد اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخدع الخاصة بالنساء المحدرات لم تكن تخلو منهم، فاضطرت الى وضع السيدتين في مخدع منها رأيت فيه مواضع ملي ولها، واثما بأننا لا نرى من هؤلاء الجنود ما نكره، وكذلك كان والله الحمد، وآداب الجنود الانكليزية انخلص معروفة عند جميع المصريين يندر أن يرى أحد من سكان منهم تعدياً أو اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو؟ وقد وقف القطار في محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود العسكرية على جانبي الطريق قريبة من الخط الحديدي أو بعيدة عنه، وبسبب ذلك يتأخر القطار قليلاً عن مواعده المعتاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا اليها امس مع جواهر الحجاج المصريين محمد نجيب افندي المعاود في مديرية الجيزة وهو صهرنا على بنت اخي، والشيخ خالد النقشبندي، فكانا رفيقين لنا في السفر في كل حل وترحال، وكل منزل من منازل الحاج، وقد بنينا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقان من دور الاهالي التي يأوي اليها الحجاج في هذه الايام، وهم يتقاضون من الاجرة في كل ليلة فوق ما يعهد في الفنادق الكبيرة التي تفوقها خدمة ونظافة، وكذلك اصحاب المركبات في السويس يزيدون أجورها على الحجاج اضعافاً

وفي ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقيح اطباؤها إياه بالمصل الواقي من الهيفضة البوابية (الكوليرا) (لها بقية)

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٢

البعثة النبوية وحمد سيرة صلى الله عليه وسلم قبلها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسْطًا فِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَقَاهُمْ
بَلْ أَرَقَى الْبَشَرَ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَشَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَتَوَلَّ
هُوَ وَلَا وَالِدُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ قُرَيْشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَائِرَهُمْ وَلَا نَدَوْتَهُمْ، وَلَمْ يَنْظِمْ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظِمُونَ، وَلَا عُنِيَ بِالْخُطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَنُونَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يُدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوِ الْبَحْثِ فِي شُؤْنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ أَجْلَاهِلَةٍ وَضَلَالَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنَ الْمُفَاخِرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤْنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَحِبُّ
الْعَزْلَةَ، وَيَأْلَفُ الْوَحْدَةَ؛ وَرُوِيَ أَنَّهُ فِي حَدَائِثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
أَلْقَى اللَّهُ فِيهِمَا عَلَيْهِ النَّوْمَ؛ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ وَالْإِنْكِمَاشِ، مَعْرُوفٌ
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَازُ فِي

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

(المجلد التاسع عشر)

(٦٠)

(المنار: ج ٨)

نَشَأَتِ الْأُولَى عَلَى الْأُتْرَابِ ، بِالتَّزَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
الْأَدَابِ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينُ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالْأَمِينِ.
عَلَى هَذَا الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَأُسْتَوَى،
وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقَوَى. — لَا طَمَعَ
فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ، وَلَا تَطَلُّعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شُهْرَةٍ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا بُدِيَ
بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلُ
فَلَقِ الصُّبْحِ ^(١) وَاصْنَعَهُ؛ ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخِلَاءَ، ^(٢) وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ
حِرَاءٍ؛ ^(٣) فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ، ^(٤) ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
فَيَتَزَوَّدُ؛ ^(٥) حَتَّى جَاءَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ، يَنْزُولِ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ

- (١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
فرقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلاً ثم مستطيراً ومنه (فلق
الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما
رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصبغة كما هي، فهذا ضرب من الوحي وكانت
مدته قبل وحي اليقظة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والافتراد
(٣) الغار ثقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
الذهاب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه
الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ،
يتسع للمختلي فيه مجال الفكر، والشعور بعظمة الرب ،
(٤) أصل التحنن توقي الحنث أي الائم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث
بالتعبد، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالفكر خاصة، واختلف في عدد
الليالي التي كان يقيمها ويتزود لملها (٥) التزود اتخاذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثُّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَلَقِّنَهُ عَنْ رَبِّهِ
أَفْضَلَ التَّنْزِيلِ ؛ قَالَ لَهُ اقْرَأْ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لَا مِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يَنْطُهُ أَيُّ يَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَنْصُرُهُ ، حَتَّى
يَبْلُغَ مِنْهُ الْجَهْدُ مَبْلَغَهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنْ تَغِيبَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةُ
عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِدَّ لِتَلْقَى آيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَكُونَ وَاسِطَةً
بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْحَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أَرْسَلَهُ فِي
الثَّالِثَةِ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ *) أَيُّ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ، لَا بِاسْمِي وَلَا
بِاسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
جَعْلِكَ قَارِئًا لَا آيَاتِ رَبِّكَ ، الَّتِي أَقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرْسُمَهَا
بِالْوَحْيِ فِي لَوْحِ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، —
فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ ،
وَقَدْ أَرْتَعَدَ بَدَنُهُ وَلَكِنْ حَفِظَ رَشَادَهُ ، فَقَالَ « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي »
فَزَمَّلُوهُ ، أَيُّ لَفَّوهُ بِالثِّيَابِ وَدَثَّرُوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ أَخْبَرَ
خَدِيجَةَ أَخْبَرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيُّ الْهَلَاكِ أَوْ الضَّرَرِ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَحْزُنُكَ ^(١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِيمَ ^(٢)،
وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ^(٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ^(٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى
نَوَائِبِ الْخَلْقِ ^(٥). ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ ثَلَاثَ سِنِينَ، قَوِيَ فِيهَا إِلَّا سِتْعَدَادُ
وَأَشْتَدَّ الشَّوْقُ وَالْحَزَنُ. قَالَ «يَبْنَأُنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ
السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ» وَذَكَرَ أَنَّهُ
رُعِبَ مِنْهُ أَيْضًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرَّعْبَةِ الْأُولَى، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
فَتَزَمَّلَ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْهُ وَرَبُّكَ فَكَبِيرٌ
وَيَا بَايَاطُكَ فَطَهِّرْهُ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ثُمَّ حَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ، وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يحزنك من أخزاه
بمعنى فضحه وأهانته (٢) أي تحسن للآقارب بما يليق بكل منهم
(٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعاً والمتعب، أي نحمل أثقال الناس
أو نحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب احتياج ما هو
عادم له (٥) النوائب النوازل بالمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير
باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلاها
واعتقادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والحديث في
الصحيحين، وتتمته باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن
نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الانجيل بالعبرانية، وكان
شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي ماذا
تري؟ فاخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
موسى. يا ليتني فيها جذع «اي شاب» ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك.
فقال له رسول الله «ص» او مخرجي؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصرنا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة ان
توفي وفتى الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَتَتَابَعُ^(١) فَمَازَا
النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا الْمُرُّ الْعَظِيمُ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؛

تبليغ الدعوة الإسلامية وخصائصها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْمَائِلَ فِي حَدَائِثِهِ، الرَّاعِي شَرِيفَ التَّاجِرِ الْقَنُوعِ فِي
شَبِيبَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِرَوْحَتِهِ، الْوَالِدَ الْعُطُوفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصَبِيَّتِهِ^(٢)
الْأُمِّيَّ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِفْرًا، وَلَا كَتَبَ سَطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ ثَرًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَارَقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا نَزَعَاتُ الْوَنَائِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّيفِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتُ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْعُرْفِيَّةِ،
لَيْسَ لَهَا رَئِيسٌ مَتَّبُوعٌ، وَلَا قَاضٍ مُشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوها إِلَى
تَوْحِيدٍ يَجْتَنُّ جَرَائِمَ الْوَنَائِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ؛
وَالْإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخَرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ
الْوَرَائِثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهَا وَحَوَاسِسِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التتابع (بالباء قبل الزم) التهاافت والاسراع في الشر أو التتابع (بالباء

الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر
نهبان لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الاربع ، و ابراهيم من مارية القبطية

وَالْإِثْتِفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَايْدَةً
وَقَعْمًا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابِ مُهَيِّمٍ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
وَدِينِ أَنْزَلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيعَةٍ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةٍ
أَجْنَهَادِيَّةٍ ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الْأَجْنَهَادِيَّةَ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِاعْتِنَاقِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
وَجَعَلَهُمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرْءَ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظَ
الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحُسْنَ
النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، مِمَّا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا تَقُومُ
بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجُمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سِيَاحُ الْفَضِيلَةِ وَمَقُومُ
الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تَقْدَرُ بِقُدْرَتِهَا ، وَيَجْتَهِدُ فِي
إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعِبَادُ ؛ وَلَا يُمَثَّلُ فِيهَا بِالْقَتْلِ ^(١) وَلَا يُدْفَنُ عَلَى
الْجُرْحِ ؛ ^(٢) وَمَتَى رَجَحَتْ كِفَّتُنَا بِالْإِثْنَانِ ^(٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتيل تشويبه بقطع بعض أعضائه كخدع الأنف وطمع الأذنين
وقلع العينين (٢) التدفيع على الجريح الإجهاد عليه أي إيماءته (٣) الإثنان
في الأعداء إضماهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الإسلام وإصلاحه =

بِالْأَمْرِ عَنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ ، (فَإِمَّا مَنَا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدَتْ نَارَهَا ،
وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ جَنَحْنَا لَهُا ، ^(٢) لِأَنَّنَا أَهَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ؛ — إِلَى
غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
أَهَمِّهَا أَحْكَامُ الرِّقِّ ، بِمَارْغَبٍ وَأَوْجَبٍ فِيهَا مِنَ الْعِتْقِ . وَأَحْكَامُ
الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْخُقُوقِ وَالْإِرْثِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا الْإِصْلَاحِ الْعَظِيمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ هُنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنَ
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= إبطال ما كانت الأمم تستبيحه من استئصال أعدائها . ولم يكف بمنع قتل
من لا يقا تل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا
شرهم، وان نكتفي حينئذ باسرههم، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك
أسرم بلا مقابل، وبين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله
تعالى (حتى اذا انختموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب، والمعنى حتى تنقضي
الحرب بوضع الحاربين لأثقالها من السلاح والذخائر عن انفسهم — وقيل بترك
الكفار للعدوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث
اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الأمم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ وَصْرَ وَالشَّامَ ، وَيُعْطِيَهُمْ مُلْكًا كَسَرَى وَقَيْصَرَ ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمُ الْأُئِمَّةُ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

قَامَ صَلَّاهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَعْزِلْ أَذْكَى قُرَيْشٍ وَأَعْقَلُهُمْ لَهَا سَبَبًا إِلَّا الْأَجْنُونُ ، أَوْ نَبَزَ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بِلَقَبٍ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ مَفْتُونٍ ، إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ، لِمَا هُوَ دُونَهَا بِمَرَّاحِلٍ ، — لَا حَوْلَ لَا قُوَّةَ ، لَا مَالَ لَا عَصَبِيَّةَ ، لَا سَلِيْقَةَ فِي الشَّعْرِ تَجْذِبُ الْقُلُوبَ ، لَا تَمَرُّنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤَثِّرُ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طُبِعَ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوْلَ عُمُرِهِ عَيْشَةَ الْجِدِّ ، فَكَانَ أَقْرَبَ مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّهَا تَزَعَّةٌ مِنْ تَزَعَاتِ الْأَجْنُونِ ، وَلَوْ لَا مَا آيَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَأَعْظَمُهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْ لَا تَصْدِيقُ اللَّهِ

تعالى إِيَّادُ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَّقَهُ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الْفَصْلُ . لَقَالَ بِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ،
(ن) ، وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *
وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(١) * وَإِنَّكَ لَلْأَوَّلُ خَلْقٍ عَظِيمٍ * فَسَدِّصْ رُءُوسَهُمْ * وَيُبْصِرْهُمْ * وَأَيُّكُمْ الْمُفْتَنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٢)

«أَيُّ بُرْهَانٍ عَلَى النُّبُوَّةِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، أَمْيُّ قَامَ يَدْعُو الْكَاتِبِينَ إِلَى فَهْمِ مَا يَكْتُبُونَ وَمَا يَقْرَءُونَ ، بَعِيدٌ عَنْ مَدَارِسِ الْعِلْمِ صَاحٍ بِالْعُلَمَاءِ لِيُحْصُوا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ . فِي نَاحِيَةٍ عَنْ يَنَابِيعِ الْعِرْفَانِ جَاءَ يَرْشِدُ الْعُرَفَاءَ ، نَاشِئٌ بَيْنَ الْوَاهِمِينَ هَبَّ لِتَقْوِيمِ عَوَجِ الْحُكَمَاءِ . غَرِيبٌ فِي أَقْرَبِ الشُّعُوبِ إِلَى سَدَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَبْعَدِهَا عَنْ فَهْمِ نِظَامِ الْخَلِيقَةِ وَالنَّظَرِ فِي سُنَنِهِ الْبَدِيعَةِ ، أَخَذَ يَقَرِّرُ لِلْعَالَمِ أَجْمَعَ أُصُولَ الشَّرِيعَةِ ، وَيَخْطُطُ لِلْإِسْعَادَةِ طُرُقًا لَنْ يَهْلِكَ سَالِكُهَا ، وَلَنْ يَخْلُصَ تَارِكُهَا

«ما هَذَا الْخُطَابُ الْمُنْجِمُ؟ مَا ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْمُلْجِمُ؟ أَأَقُولُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ؟ لَا ، لَا أَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا أَمَرُ اللَّهُ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ : إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْهِ . نَبِيٌّ صَدَقَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْإِقْنَاعِ بِرِسَالَتِهِ بِمَا يُلْهِي الْأَبْصَارَ ،

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التي أولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل

من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

(المجلد التاسع عشر)

(٦١)

(المنار: ج ٨)

أَوْ يُخَيِّرُ الْخَوَاسَّ، أَوْ يُدْهِشُ الْمَشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالِبُ كُلِّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ
فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَأَخْتَصَّ الْعَقْلَ بِالْخُطَابِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْخُطَا
وَالصَّوَابَ، وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْبَلَامِ وَسُلْطَانِ الْبَلَاغَةِ وَصَحَّةِ الدَّلِيلِ،
مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
خَلْفَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^(١)

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أَهْلِهِ طَبِيبٌ وَلَا عِلَاجٌ،
فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلْمَ، فَكَذَّبُوهُ فَأُثْبِتَ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابٍ عَالِجٍ بِهِ أُولَئِكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أَغْضَلَ
ذَوُوهُمْ، وَأَخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَفَوْا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ
أَعْرَضَ عَنْ دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ؛ بَلِ الْأَمْرُ أَغْضَمَ مِنْ ذَلِكَ
أَلَّا إِنَّ مَدَاوِةَ أَمْرَاضِ الْأُمَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، أَعَزُّ
وَأَعْسَرُ مِنْ مَدَاوِةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرُ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَتَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِذَتِهَا،
يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا أَقُولُ فِي أُمِّي نِسَاءً
بَيْنَ أُمَّتَيْنِ، قَامَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحِ الَّذِي تَغَيَّرَ بِهِ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ، وَأُمْتَدَّ مَعَ لُغْتِهِ

(١) هذا آخر ما اقتبسناه من رسالة التوحيد وفيها بعده الكلام على القرآن

فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَوْرُبَّةَ مِنَ الْقَرَبِ ، وَإِلَى حُدُودِ بِلَادِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، حَتَّى خَضَعَتْ لَهُ الْأُمَمُ ، وَدَالَتْ لِدَوْلَتِهِ الدُّوَلُ ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ فُتُوحِهِ الْحَضَارَةُ وَالْمَدَنِيَّةُ ، وَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْكُورْنِيَّةُ ، عَلَى أَيْدِي تِلْكَ الْأُمَمِ الْحَدِيثَةِ الْعَهْدِ بِالْأُمِّيَّةِ ، الَّتِي عَلَّمَهَا الْقُرْآنُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْإِنْسَانِ ، يَتَّبِعُهُ إِصْلَاحُ الْأَكْوَانِ ، فَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، وَتَأْيِيدٍ سَمَآوِيٍّ مِنَ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ الرَّحِيمِ ، اخْتَصَّ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْكَرِيمُ ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؟

مناهضة الدعوة ، والنجاء الرسول الى الهجرة

بَدَأَ دَعْوَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنْذَارِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ ، مَنْ فِي مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنَ الْمُؤَالِي وَالْأَوَافِدِينَ ، فَلَقِيَ أَشَدَّ الْجُحُودِ وَالْإِيذَاءِ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى صَدُّوهُ عَنْ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ : خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَخْرَجُوا عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَآلَهُ مِنْ مَكَّةَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُحَلِّ يَتْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِبَ ، وَدَخَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ مُقَاطَعَتَهُمْ ، وَعَدَمَ مَصَاهِرَتَهُمْ ؛ وَأَنْ لَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَتَاعَوْا مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ مَبْلَحًا ، إِلَّا

أَنْ يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا لِقَتْلِ ، فَمَكَثُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشَّعْبِ ، وَهُمْ فِي أَشَدِّ الْبَلَاءِ وَالْجَهْدِ ، وَكَانَ بَعْضُ مَا مَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ ؛ ثُمَّ أَشْتَدَّ إِيْذَاهُ قُرَيْشَ لَهُ وَلَمْ يَأْمَنْ بِهِ بَعْدَ وَقْفَةِ خَدِيجَةَ وَأَيُّ طَالِبٍ ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَحْمِهِ مِنْ قُرَيْشٍ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سِتَّةُ قُرَى مِنْ أَهْلِ يَثْرِبٍ ،^(١) ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمِ آخَرَ ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ . فَفَشَا الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَ فِي الْمَوْسِمِ الثَّالِثِ أَمْرَانِ وَثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهِهِمْ ، وَأَنْ يَمْنَعُوهُ - أَيُّ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ، فَتَهَدَّتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمْهُورٌ مِنْ آمَنَ بِهِ إِلَى الْخَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ ، فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْبَرُ قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابَهُ بِالسَّرِّ ، فَفَزَعُوا إِلَى الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهْيئُ رَاحِلَتَيْنِ وَزَادَا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانِ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ يَأْتِمِرُونَ^(٢) بِالرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ وَبَعْضُهُمْ

(١) هي المدينة المنورة (٢) يتشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرْجِحُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًا جَلَدًا ، ^(١) يَقِفُونَ أَمَامَ دَارِ لَيْلًا ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ضَرْبُهُ بِسُيُوفِهِمْ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ ، فَيَرْضَى بِدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُوَائِكَ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بَأَنْ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرَ بِرِدِّهِ ، وَخَرَجَ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلَا شَعَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَيَرَوْنَ النَّائِمَ فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) ^(٢) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (لها بقية)

صدرت دار المعرفة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالاطالية كلمتان [mal aria] ومعناها «الهواء الفاسد»

سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

(١) القوي الصابر (٢) المكر التدبير الخفي الذي يفضي بالمكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشر غالباً وقد يكون لا بطل الشر أو للتخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال، والاخراج النفي

يطلق هذا اللفظ على أنواع من الحمى تنشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozoa] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الإنسان وينتقل من شخص إلى آخر بنقل بعض أنواع البعوض (الناموس) ويسمى هذا الميكروب بالافرنجية [Plasmodium] أو [Amia الدم Haemamoeba] وإنما قلنا إنه يعيش في دم الإنسان لأنه لم يعرف إلى الآن أنه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا نوعا يشبهه يعيش في دم بعض أنواع القردة ويحدث لها حمى تمتاز أخف أنواع هذه الحمى التي تحدث في أكثر البلدان المعتدلة بتقطعها بمعنى أن نوبها تفصل بعضها عن بعض بفترات يكون فيها المصاب كأنه سليم منها، أعني أنها لا تكون مستمرة كالحميات الممتدة الأخرى، تستمر التوبة بضع ساعات ثم تزول وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan]. والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الأكثر حدوثا في الأقاليم المعتدلة. أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوله في بعض بلدان إيطاليا والهند. وهناك أنواع أشد مدة الحمى فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في إيطاليا بالحمى الصيفية الحريفة [Aestivo - autumnal] وفي البلاد الحارة (الحمى المستمرة أو الحبيثة) ويكثر انتشار هذه الحمى في الأقاليم التي بين خطي ٢٣° شمالي خط الاستواء و ٥٧° جنوبيه

الأسباب — قلنا إن الذي ينقل ميكروب هذه الحمى هو البعوض فلذا توجد هذه الحمى حيث يوجد البعوض ويكثر، ونختفي أو تنعدم حيث لا يوجد، أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض هما أعظم الأسباب لانتشار هذه الحمى. وجميع الأجناس البشرية عرضة للإصابة بها، ولكن السود أقل في ذلك من البيض. وهي تصيب الإنسان في جميع الأعمار. وهما يهيئان للمرض ضعف الصحة والتعرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو الإفراط أو التفريط في الأكل أو الشرب

وقد يمكن الميكروب في الدم ولا يحدث الحمى وإنما يسبب ضعف الصحة وقر الدم أو ضخامة الطحال، ولا يستمر بقاؤه في الدم إلى أكثر من ثلاث سنين

[المنار: ج ١٩، ٨] نقل البعوض الميكروب الحلي النافض ٤٨٧

إذا لم تكرر العدوى به

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الأقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف ما يعيش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتمتص مادتها الهيولوجية ويحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سماء مصفرة)^(١) يمكن اعتباره كأنها براز لها فإذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (تراوح بين ٦ - ١٥ أو ٢٠) وانفجر غشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسبح في الدم ثم تفتقر كريات حمراء أخرى وتسكنها وتعمل بها ما فعلته في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء

وعند تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيدور مع الدم . ومن ذلك ترى أن هذا الميكروب اللعين يفسد الصحة بآلافه الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه مما يحدث الحلي ، وهناك ضرر ثالث وهو افرازه مما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فيتعب الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يبول المريض بولا آخر مشتملا على مادة الدم الدائبة فيه - كما سيأتي - فتلهب الكلى بسبب ذلك ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ما ذكر فانه قد يقتل ولا يصاب الشخص بشيء ، وقد يمكن في الطحال الى ان تضعف قوة مقاومة الجسم له فظهور حينئذ أعراض الحلي ، وقد تغلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتبيده وتحصل للجسم مناعة تقويه شره مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يصيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسمى [Anopheles] وميكروب الملاريا لا يضره شيء اذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يعض الدم بل الانثى فقط وهي التي تحمل العدوى ومدة حياتها (١) هذه تشاهد سابحة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تبتلعها أو داخل منسوج بعض الأعضاء كالطحال والكبد والمخ وغيرها

نزيد عن شهر في الغالب . ونضع كل اثني نحو ١٠٠ بيضة على سطح الماء طول كل بيضة نحو نصف مليمتر أو مليمتر كامل . وبعد يومين أو ثلاثة يفتس ، وإذا كان الجو حارا فقت قبل ذلك ، ونعوم الاجنة في الماء وهي المسماة بالعلق ، وبعد عدة أيام (١٣ - ٢٣) تصبح بالنطور بعوضة

ويمتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي : —

(١) ان اثناءه لا تسلم الانسان غالبا ولا تمص دمه الا ليلا (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل منقارها [Prboscis] الغليظ (٣) أنه توجد في أجنحتها نقط مسودة بخلاف أجنحة الاخرى فانها راتقة (٤) أن جسمها أطول وأنحف . هو مستقيم بخلاف الاخرى فانها أعظ واذا وقفت على الحائط رأيت ظهرها محدوبا واعلم أن بعوضة الملاريا لا تنقل العدوى الى بعوضة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

واذا امتصت البعوضة دم المصاب لقحت (١) مض خلايا الميكروب اخلايا الاخرى التي تتطور وتصل الى غدد الغاب في البعوضة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فتعديه بالملاريا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البعوضة تختلف من ٦ — ١٦ يوما بحسب حرارة الجو . والبعوضة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض — تكون نوب هذه الحمى في أول الامر غير منتظمة غالبا ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتغلب البنية على أقلها عددا وتقتلها وبذلك ينفرد بالجسم نوع واحد وهو الاكثر عددا ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة . طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و ١٢ يوما وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح وفي بعض الاحوال تتقدم الحمى بمض أعراض أخرى كالتوءك والصداع وآلام بالاطراف وغثيان وغيرها .

(١) أما في دم الانسان فيحصل الانقسام بلا تلقيح

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية الباقية ما بقيت العصور وكرت الدهور، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بعزائم الامور، وسلم تسليماً كثيراً

وبعد فقد حان لنا أن نخاطب أبناء بلادنا — خاصتهم وعامتهم، وكبيرهم وصغيرهم، وحاضرهم وباديهم — في حقائق الامور التي كنا فيها، والحالة التي صرنا اليها، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها حق القيام

فانه لم يبق فيهم والله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الاغرار الذين تسلطوا على المملكة العثمانية فأحلوا فيها ما أحلوا وحرموا ما حرموا، مما قدمت الاشارة الى بعضه في منشورينا السابقين. واتخذوا دين الله لهواً ولعباً، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها. وتصرفوا بالمملكة تصرفاً أضاعوا به من بلادها في بضع سنوات ما تزيد مساحتها على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوربا. وآذوا عباد الله بالقتل والشنق والتعذيب والتغريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به العدد والحصص. ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العثمانية ابتلاء بمصائبهم ومفاسدهم. لا عن تكريم منهم لمشاعرهم المقدسة، ولا واقفة منهم بأهلها، أولاً أن الحجازيين أحب اليهم من سكان الرومي والاناؤول والشام والعراق، بل لما سخرنا الله له من الوفوف لهم موقف النصيح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحياناً، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا ما في الوسم لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم نأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل أنحاء المملكة ، وحملهم على اجتناب كل ما ينكره الناس عليهم ، واقفاهم بخطر أعمالهم وما ستؤول اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصيح لرجالهم في الاستانة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتوارى بها ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يطلم عليها ، وكذلك كنا ننصح لولاتهم هنا بطريق المشافهة والمحاطبة ، وأوفدنا بعض أولادنا الى الاستانة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم تزد هم دعوتنا الا ظما ، طفيانا ، وبغيا وعدوانا

وما زاد مسؤوليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ما وقع فيه قومي وأبناء جلدتي من الشدة التي لا تحتمل ، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغرار الجاهلين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعري على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري ، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلة والهلكة التي لمستها الايدي وعانتها الابصار . لان الحول لم يحل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استغفروا الله عز وجل للقيام في وجوه الأئمة الظالمين ، والمخربين للملحدين ، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم كنصبته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

عشيرته) وقد خار الله لنا ان نهض بأمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والعباد . طالين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبعنا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عشائرننا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بعداوة جنسيتها واغتبا وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ما كنا نسمعه وتسمعوناه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاعفة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شنق النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بنسفيل بعض من وقع في أيديهم من سكان العوالي بالاشغال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شنقوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، وبدأوا بتجنيد الاهالي بالقوة حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المسكين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مهما كان ظالما أن يسلم سيف حقه وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين آثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لذائذ الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، واذا كان حقد المتغلبة وضغنه قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم بالذى أمانة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فان أولى بهم أن يخرجوا لقتال أولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب ، فهناك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحفة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة ، بحجة داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نعلن أمتنا الخلصة بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحميتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البساطة والرجولية والشمم العربي ومشاركتها الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المجيدة . واستحققت ان

تكون صاحبة الفخر الأعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء والأرض أن شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيما كانت بلادنا عليه بالأمس وما صارت إليه اليوم بمحول محول الأحوال كافية لترديد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه، وعظيم نعمائه، فقد أبدلها من العسر يسرا، ومن الخوف أمنا ومن الضعف قوة، وكانت مقدراتهم تحت تصرف وصي جاهل لا يراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها. وصارت حكومتها منها وفيها، وفتحت لرجالها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادارتها، واستعمال عقولهم وذكائهم ومواهبهم في تحسين أحوالها، كما فتح لآبائهم الطريق القويم إذا جدوا في ادراك "مضائل" وتحصيل الكمالات، حتى يبلغوا بقدرة الله عز وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم، والمناصب الجليلة في حكومتهم، ويحصلوا على سعادة الآخرة بإيفاء ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجاج بيته الحرام، واستحصال جميع الأسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وإن عزائم حكومتنا معقودة للنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد أن شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا إليه. وإن كل ما حصل حتى الآن ليس إلا جزءا قليلا مما ستعاليه البلاد من الخير التدريجي الدائم، وإن كان كثيرا بالنسبة إلى ما نحن فيه من التدابير الحربية، وبالنسبة إلى الوقت القصير الذي تمتعت فيه الأمة بالاستقلال

ومما لا يختلف فيه اثنان أن تأسيس الممالك يحتاج أن تبذل فيه كل طبقات الأمة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما يحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة، حتى يتم الخير المعمم على أيديهم جميعا فقتشرك الأمة كل في نتائجها بعد اشتراكها في مقدماته. وبهذا تقيم الأمة صروح المجد، وتنهى لمالكها أسباب الهناء والسعد

وأهم ما ينتظر من الأمة اخلاص النية والتناصح والتعااضد والدفاع عن الحق والمصلحة القومية والوطنية، فقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسنند أحمد (أن الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) وفي صحيح

مسلم (لا تخاصدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذب به ولا يحقره ، التقوى ها هنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فبالعاون والتآزر والتناصح تنجح الام وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى الخلق ، وبهذا يأمرنا ديننا الاسلامي الخفيف فلنكن مسلمين حقيقة، ومن كان مع الله كان الله معه، وان مانالته جيوشكم حتى الآن من النصر والفوز لم يكن الا بالاخلاص والنية الصالحة واستئصال شأفة الاحاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن يؤسس بنيانه على شفاعرف هار. وان من باب التحدث بالنعمة الالهية، والتوفيقات الصمدانية، ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحياة أولادي، على الدفاع عن واحة أبناء جلدتي ومصلحة بلادتي، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تتم الا بأن يعمل لها كل بما يستطيع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه العربية اتفاق مصالحها مع مصالح من والاها من حلفائها واعلانهم العطف عليها في آمالها وأمانيتها، وتصريحهم بأن من النقط التي لا تقبل التغيير والبدل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارئ خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجليل شكر حاد ثنائ الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرتهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه البلاد . وانا سنحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله ونستنهض همه أمتنا في الحثام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله السابغة، والاستمرار فيما أخذوا به من أسباب النهوض والتقدم ، لان الزمان الحاضر زمان جد وعمل، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب والخطوب تأميننا لمصالحها وبقائها ، وضحت كل مرتخص وغال في سبيل عزها ومجدها ، وانا لجديرون بأن نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الاجداد ، والسير في سبيل الاجداد، ورفع شأن البلاد، واجتناب كل ما يخل بنعمة حاضرة، ومعادة مستقبله ، ومن جهة ثانية فاني

[المنار : ج ٨ م ١٩]

المنشور الهاشمي الثالث

٤٩٤

أحث قومي على الاقتصاد والاختذ بأسبابه وترك البطالة المنهي عنها في الدين الإسلامي، ولنا معتبر في الحث وشدة الإبرام على المثابرة في وسائل الاكتساب مهما كان حكمنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظهر في النظرة الأولى من قلة أسبابها الاقتصادية، ولكن مباشرة العمل مستبين لكم أنها تأتي بثمرات لم تكن في الحسبان، فيكون بها تعديل الحاجة وهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الأول بل في الأسبوع الأول من وقوع الحصر

وانه لم يبق لأحد عذر في التقصير بشيء من أسباب الارتقاء بعد ان فتحت أبواب الاكتساب الخارجية للرجال، وأبواب المدارس للأطفال، وسوف تستمر حكومتنا في هذا السبيل ان شاء الله حتى تستكمل كل أسبابه، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها، كالمدارس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والهندسية، وسائر ما تحتاج اليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدسية بلادنا، حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم وبواسطةكم في عهد قريب ان شاء الله تعالى، وليس ذلك بعزيز عليكم بالنظر الى ما خصكم الله تعالى به من الذكاء والفضة، وان خطتنا الإسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتنميته والتقدم به بالتدريج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة

وملك البلاد العربية

الحسين به علي

[المنار]

كان المنشور الهاشمي الأول خطابا خاصا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع، والمنشور الثاني موجها الى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنصه في الجزء السادس، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وخدمهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء، الا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعاهدين تساهل الحكام من قبل بالسماح لهم بالاقامة فيها. وسبب جعل الحرمين وما يحيط بهما من جزيرة

العرب خاصا بالمسلمين مع ما هو معروف من تساهل الاسلام هوانهما أعظم المعابد الإسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لا يجوز للمسلمين في دار الاسلام دخول معابد غيرهم ولو مؤقتاً الا أن يكون باذنهم ، فهل تجوز الاقامة فيها ؟ ولو كان لهذا الملك الشريف رعية من غير المسلمين لحصم بخطاب يعلم منه القاصي والداني انه أوسع صدرا وأشد تسامحا من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيرا لهم من دستور العثمانيين في دينهم ودنياهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار حكومته بمكة المكرمة وممنا عبدالمعز بك المصري المشهور قد كرت في سياق الحديث عن العرب اخلاص القائمين بالتمهضة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور أمين المعلوف مثالا وشاهدا فقال حفظه الله تعالى : يا حضرة السيد اثني لا أحب أن يفرق في هذا المقام بين مسلم وغيره، وإذا كان أصل شرعنا في الذمي الغريب عنا ان له مالنا وعليه ما علينا، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ؟ ثم اثني على الدكتور وأعرب عن رضائه عنه، فسر الحاضرون بقوله سرورا عظيما .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانية العظمى منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٢ بينا فيها من استعدادات الفريقين المتقاتلين ومن مقاصدهما ما ظهر لنا بعد سنتين أنه أصبح من كل مانشر في الصحف مخالفا له . وقد رأينا أن نعيد أوأخر تلك المقالة للمقارنة بينه وبين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس . وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« فجملة القول في المجموعتين المتقاتلتين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكية والعرب والجيل الاسود أكثر من ألمانية والنممة والعمانية رجالا ومالا وأساطيل بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول

الانكليزي لرجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لا يمكنها أن تحارب أوروبا كلها وتقتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد ليس مما ينتظم في سلك الخوارق والآيات ، بل يمكن لدول التحالف أن يلحقوها به ، اذا عجزت في أول العهد عن بطشة فاصلة في فرنسا . أما اذا وقف مدها عند تدويع بلجيكة والاسنيلاء عليها وعلى بضع ولايات من شمال فرنسا وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد الا الجزر ، فاذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر فحمل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالاكثرم منهم حصي وأعمى العزة للكاثر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجي الا من قبل بريطانيا العظمى ، لان الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر عددا — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى إيجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعماهم ومالهم ، وليس عندهم جندي اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما يميز عليهم التمجيل بايجاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنين ، وتاريخهم مرة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كاتشر ناظر الحريسة القائم بتهجير الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلى للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الارض بين الانكليز وانباء عمهم الالمان ، وسائر الدول تبع لها في علوها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها

« دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلترة أو لالمانية

[المنار: ج ٨ ص ١٩٨] رأي الانكليز في حال الالمان الآن ٤٩٧

لا محالة، ويكون أحلافهما تبعاً لهما، فتكون لانكلترا اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام، لانهم ان ينالوا ذلك الا بها، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثلاً في وقت من الاوقات، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة، وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلهن خسارة، واذا كان من بواكر هذا الرجب مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره؟ «وأما اذا كان النصر التام للألمانية وأحلافها فقد طالما هيجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تجعل أوربة كلها تحت سيطرتها، وتتزع منها جميع مستعمراتها، وانها بذلك تسود العالم كله، ولعلنا نهود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف، ونلم في ذلك بأمانى الشرقيين عامة والمسلمين خاصة^(١)»

هذا ما كتبناه منذ سنتين وعدة أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيداً له فهو ما نشر في جزء المقتطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق ٥ صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيرته لمطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوربة بالتاء: رأي الانكليز في عاقبة الحرب

«ان الالمان لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادة ما عدا القوة العقلية، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الالمان تضيقاً لا يضعفه علم ولا تقوى على احتماله حمية وطنية مهما عظمت. وما من دولة محايدة يؤبه لها الا وهي تفضل الانضمام اليها على الانضمام اليهم. وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان ألمانية لم تقهر حتى الآن. تجنبنا بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها. نعم أقلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها؛ وقد حدث مثل ذلك لنو بوليون بونابرت في معركة الطرف الاغر ولكنه بقي في اوج مجده وبقيت ملوك الارض تخطب وده وتسابق الى نيل رضا

(١) قد وفينا بهذا الوعد ونشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

٤٩٨ رأي الانكليزي في حال الامان الآن [المنار ج ٨ م ١٩]

« والامان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمتد سلطتها من البلجيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البادان الواسعة التي تحت سطوتها » ولا مشاحة في ان ايجاد البحار دون ألمانية قد أضربها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الا في البر. هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقتطف : وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال نعماً ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر. كما ترى في الصورة التالية) (١)

« ولقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالحراف امام الذئب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسا لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فأسأنا الى أنفسنا والى أوربة كلها باهمالنا قوتنا البرية

« وسبيلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولا دليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أو سنتين » من المحتمل ان قيادة جيوش الامان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الا القليل منه حالما رأت اننا نفنى بذلك ونبني عليه أحكامنا . ولها غرض آخر أهم وهو ان لا يعلم الشعب الألماني ما حلّ برجاله . ومع ذلك فاتها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالا ويطلبا الصلح ناهيك عن أن التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمد أجل الحرب كثيراً » فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همة وإقداماً ونوالي لهجوم

(١) المنار : نشرت الصورة في المقتطف كما نشرت في مجلة لندن

[المنار: ج ٨ م ١٩] توقع الانكليز زعامة أوربة وسيادة العالم ٤٩٩

نحن وحلفاؤنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن من يدخل الوزارة أو من يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانيا انها تخسر كثيراً باطالتها ولا تستفيد شيئاً منها، ولكن ما من أحد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانيا علموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لا سيما وان الشعب الألماني قد استهوي وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المقطب) : واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعتقد النصر للحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ؟ اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلداننا فسنبصر أعظم دولة حربية في المسكونة ، ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان، ويكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعد بالملايين ، ويزيد تفوقنا البحري عما كان قبل الحرب، وتتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض، عراها لا تنقسم، وشعوبها لا تقهر ، وفعلها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكة في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطالب ان نطبع سيفونا سكاما ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة إلى ان تزول رزايا هذه الحرب وما أثرته في النفوس ويعود الأمن والسلام الى نصابيهما

« وعلينا ان نحذر الفرور كما نحذر الخمول لئلا نضيع ثمار الظفر، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكتسب، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانيا

٥٥٥ موافقة التيمس لرأي المنار في عاقبة الحرب [المنار: ج ٨ م ١٩]

فكون قوة حربية مستبدة مثلها لاتنا أصعب البوارج والرجال والأموال وتوخي التفوق الحربي على غيرنا، بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان . أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون عندنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداننا مهما اختلفت تصارييف الزمان . ولا نخذعن أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نمون شباننا كلهم على استعمال السلاح ، لا لكي يضرهموا نار الحرب به بل لكي يمنعوا اضطرامها ويحموا كل أملاكنا ومستعمراتنا ويحفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والتغلب على المكاره مغروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا ان يعودوا القهقري أمام العدو لم يكن يخطر لهم ان يفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيرا ، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وسبقني أشرف ميراث نوريته لذريتنا من بعدنا »

(المقتطف) : هذا ولم نكد تنتهي من كتابة هذه السطور حتى طير البنا البرق ان ألمانية عازمت ان تجعل بلادها كلها مع مالا لاسلحة والذخائر الحربية وأن تحسب البلاد كلها محلا تجاريا كبيرا وتستخدم كل مافي بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكتفي باستخدام الرجال والامرى بل تستخدم النساء أيضا ، ويقال انها عازمت على تجنيدهن أيضا . وان انكسرة قررت انشاء اداة للتموين برأسة رجل مطلق التصرف يحق له ان يرغم الناس على الاقصاد وانها حظرت على السكان اطلاق المواد الغذائية واستعمال السكر في الكماليات وطحن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منه المادة السمراء فتقتل تغذيته اه ما نقلناه عن المقتطف من ترجمته وتعليقه .

ومن قابل ما نقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بما قلناه في أول المهد بالحرب في شأن ظفر انكسرة وحلفائها يجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا^(*)

نقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والعدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بض اللفاظ - :

قرأنا في جريدة (نير إست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (؟) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة فترجمناها (؟) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجراً فان أسرار الاتحاديين والحمد لله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان وراءها لأشد منها وأفظع، وأدهى وأمر، وسيعلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الاتحاديين الطورانيين ما دله العرب العثمانيون قبل ذلك أعوام فاستعدوا للدفاع عن كيانهم وعن دينهم، وبعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام ولا ضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركيا حركة جديدة عرفها القوم باسم (بني طوران) أعني طوران الجديدة وقد نبتت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من الساطة، وقد امتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غيتها توحيد القومية التركية بالانصيرية الجنسية دون الربط الدينية الإسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولها) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتبها لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردنويج في مقالة نشرها تحت توقيع في جريدة (اندرونوخ) الألمانية على أثر حديث

(*) قد نلخص هذه المقالة صاحب المتطف ناسبا إياها الى أحد أدباء الانكليز
وابقى كلمة الطورانية بالفاء

دار بينه وبين زعماء الاتحاديين . (١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط (٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد العجم

الشمالية (آذربيجان) وبلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطوير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب

هائين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمع آخر ترمي اليه وان لم نجهر به رسمياً وهو تترك

العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها. وأكبر آمال هذه الجمعية

ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركياً قبل كل شيء، وأما كونه مسلماً فيعد عنده

من المسائل الثانوية التي لا تهتمه كثيراً .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بإيعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها

بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم

يسمونها (ترك أوجاغي) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعوها

والقيام في أعمالها بهمة فائقة . أما الاطفال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع

في انشائها كفيلة بأن تفرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية

لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه، وأخذوا

بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (ايزجي) أي قافة الاثر . ووضعوها

تحت رعاية أنور باشا وهم يدرسونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على

الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الأخرى كالعرب والاكراذ

واللاز ونحوهم . وهذه القوة الضعيفة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة

وكلها تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الإسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المقتطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردنوسيج من حديث

دار بينه وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الألمانية اه (٢) ترقية

الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماءهم مأخوذة من العربية فقد استبدلو بها ألفاظا تركية محضة بدعوى ان الكشافة تركية خالصة وان أسماءها يجب ان تكون كذلك اتماما للقومية ورعاية للجنسية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لا باللسان العربي، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتباً كثيرة لتأييد المبدأ العنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأسمها (بني طوران) وهي الرواية التي كتبتها إحدى نساءهم المطالبات بحقوق الانتخاب واسمها (خالدة خانم) وقد جذبت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مشكلة المطالبة بحقوق النساء وما يقوم به الاثراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدينة طوران من شأنه ان يعيد الى محيطة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتماعية لان استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضروب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في العصور المظلمة يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صورتين وأسابيب مختلفة أولها اللغة التركية ومحاولة كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لا شأن لنا به على الاطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تركيها ممكن في الاقل ولكن ذلك لم ينقذهم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس (١) ولذلك عالجوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسمي في استقلالهم عن سواها .

(١) عبارة المقتطف : والا لا يتلح العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية بلوغ غاياتهم

أما الباحث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه^(١) الدكتور ناظم المرخص المسجل لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف قاريخي وضعه الموسبوليون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والأتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٥٥ ميلادية، وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنسية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكاناً رفيعاً فنقلوه الى التركية بعبارات بالغوا فيها ما استطاعوا ولم يلتفتوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ذنوياً بالنسبة لخطتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال . وان ذلك لا مخطر عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا لان هذه الدول عدداً كبيراً من الرعايا المسلمين وذلك ما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فبيري لما علق في ذهنه من المزاعم القديمة لبالية من ان الاسلام ينافي الوطنية^(٢) . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدنية (ككتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق تهمهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد النصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت ديانتهم في ذلك الزمن على افترض أنهم كانوا يدينون بدين خاص مايسمونه اليوم (السامانزم) أي العبادة الوثنية^(٣) . وكانت مدنيتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المفتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فبيري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لاوطن في الاسلام» (٣) المفتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهري جيحون (او كسوس أو موداريا كما يسميه النثر) وكانت ديانتها - ان كان لها ديانة - مايسمى «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤلفة من المبادئ البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعبرونه من شرف الأمة التي تستخدمهم بالدرهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة أن التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلاءم نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لترقية شؤونه وبلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يمتزجوا ببقية اجناس قومهم، وإن كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن التركي يقتبس من المدنية الاماتلجثة الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنيات أولئك الاقوام ولا سيما مدنية الاسلام قد حال دون بلوغه (كثور) مدنية خاصة به^(١) وإن التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النهوض وازدهار مدنية يستقل بها عما كان يقترضه اقتراضا ويقلده تقليدا مضحكا وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل الترك ان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدلك على ذلك ان الاناضول عدا مافيه من قبائل اليهودك والترك كان خال من آثار القبائل التركية الاصلية. لان القومية التركية فيه ليست الالفة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ما وراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كالليونان القدماء والفريجيين والفلاطيين والاشوريين والكاريناس والحثيين، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحرثة الارض، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر. وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فماذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبله والمراد: دون انشائه مدنية خاصة

٥٠٦ محاولة الترك تترك العرب ومخاوفهم [المنار: ج ٨ م ١٩]

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون ديننا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء عنصريته الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان للطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاكو فقد دمر البرع المائية التي كانت في العراق وجعل بقاءه المحصنة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدنية البرنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخاري بغيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة. ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذكر شيئا عن فظائرها الا ان الدكتور يسر أصلح ذلك الخطأ فبين ما كانت تستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبدل شيئا في خدمة الاسلام الذي جدد بين يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا وما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف ويدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شولرويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في احد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولا سيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تركبك البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضي علينا قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الالهة والاستعداد لالتقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طين ما يأتي «يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن أنفسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كان بلادهم ليست خاضعة للاتراك، فالواجب يقضي على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم ينسون هذه المنغمة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه. واذ بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد أن يببوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا وهناك أدلة أخرى عديدة على أن الأتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة كالامة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الحلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه، وهم لا يسمحون بفناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما إذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها وذلك ما يجعل مبول الحلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين بالعيش في ظل انكسار وفرنسا. فالحلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لأنهم أصحاب الدين الاسلامي الخفيف ومنهم النبي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فإن هنالك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال افريقيا.

باب المراسلة والمناظرة

(تأثير الصحافة في أخلاق الأمة)

سيدي الاستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الاغنياء وسائر الطبقات منها ربما جاز لي أن أتعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع وهي تأثير الصحافة في أخلاق الأمة .

بديهي ان الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من الشعوب، كما أنها إحدى المكيّفات له وأحد عوامل الإصلاح إذا قبض على زمامها من لهم خبرة به . ليس من الصعب على الإنسان إذا فحص حالة الجرائد في قطر من الاقطار أن يقرر حكماً تقرّياً عن مبلغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم، كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجاً من مشرب صحافتها التي هي أشبه بمربّ ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي النيل لا يتيسر له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق .

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح يُزف لمستحقه ولا يغير مستحقه بغير حساب ، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملاً بغير جزاء مادي أو غير مادي أقله المدح سطوراً لا تعد ، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية ويعمل به

٥٠٨ تأثير الصحافة في أخلاق الأمة [المنار: ج ٨ م ١٩]

الاشواذ شقوا باسموا أخلاقهم وضاعت أتعابهم ومجهوداتهم النبيلة. وصار لا يعرف لاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة، ومن عداها من المتظاهرين بالبر فمناقون تضطرمهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام أو متاحرون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بما ينفقونه. وليس من الغريب بعد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس للقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرة عليه بل كل قصدهم لاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. ويتبع كل هذا بطبيعة الحال اساءة الظن من بعضنا ببعض، وتسرنا في أعمالنا، وتسابقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، وإغراق أخلاق الأمة ومصالحها في هذا التيار. لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتناهي على العمد والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة وخططت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الاطباء مما يندى له جبين الحر، ومما ضر سمعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري. وبعد هذا وذلك تشكو الصحف من المساجرين بالطب من أهله ومن غير أهله. فكم قرأت من أوصاف المدح لأطبائنا ما لا يقال مثله لأوزلر أو رولستون أو أرخ أو كارلس أو لين أو أوجل أو غيرهم من فطاحل علماء الاطباء بأوربا! وأتذكر أني زرت وطني منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكنت غني وقتئذ احدي الصحف العربية الكبرى بالقاهرة مالا يجوز أن يكتب الا عن ذي منزلة علمية كبيرة! واضطرت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد اللهجة الى صديقي المحرر..... ولا تزال الصحف تعود طلبة العلم الناشئين حب الظهور الضار ولا سيما الطلبة في أوروبا. واتي مع اعترافي بأن منابض الحاصلين على شهادات علمية عالية جليلة المترلة وهم قليلون، وأن منا بعض المتفوقين على اقترانهم الاوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية وشهادات الشرف وهم أقل وأندر،—أرى أن كل هذا لا يميز للصحف أن تبالغ في فوز فائز وتنمته بأكبر النعوت التي لا تناسب مركزه لان هذا مزر بكرامتها وكرامة الممدوح ومؤد الى فساد اخلاق الناشئة

فهذه يا سيدي الامتاذ علة من علل اجتماعية كثيرة سببها الصحافة بهاونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقذوة الصالحة، وأدت الى الكثير من
تشكو ويشكونه الغيورون المصلحون الذين لا نعرف أقدارهم الا متى حرمنا من مساعيهم
فنندم برهة على التفریط حين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف تجرؤ
في ذلك حرصا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا بحبا في نفعنا. فحبذا لو وجهتم عنايتكم
بالاصلاح شطر صفاتكم الافضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرفنا على عهد
لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لعمله بعقله وجده في هذه الفوضى
ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسمرسة في هذا السبيل . واذا كان أحد
أسباب هذا المصاب الجهل وضه - الاخلاق فتأتي الاسباب هو انحطاط الصحافة

نادي مستشفى سانت جورج بلندن احمد زكي ابو شادي (طيب)

[المنار] أحسن الكاتب وأصاب ، ولا رجاء في ارجاع الصحف بالنقد الى مجبة
الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجميعهم يقصدون الكسب والجاه،
والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل
النظرية والارشاد المجمل . ثم هي تمدح من يستحق الذم ، وتسكت عما يجب من
النقد . ولا ينسج هذا التعليق الوجيز للاطالة في تأييد رأي الكاتب في جنايتها على
الاخلاق، ولكنني أنقل فيه كلمة تفني عن مقالات :

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني
وكان قد لقيه في الآستانة بعد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا
ومحررا فيها ولكن مقالاته فيها لم تكن تعزى اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جمعت بين الكفر والايما، نرى
في صدرها مقالة في مدح الصدق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها بعد تلك المقالة كذب
— وأشار الى ما يذكر كل عدد من اطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء —
فقلت له ان مدير الجريدة يفعل هذا على سبيل التقية (وذكر الشيخ انه تنصل من
مهنة الصحافة) فقال له السيد: التقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ تنصله من
الصحافة وقال أنا صحفي ثم قال وهو المراد : إننا لا نخطو خطوة واحدة الى الامام
الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسمينا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرائم السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حرم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير فالقن جمعية أدبية غايتها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمستقبلها بعد هذه الحرب وقد افتتحت الحفلة حضرة ربة المنزل بالكلمات الآتية

أبدأ قولي بحمد الله، والصلاة والسلام على من اصطفاه وبعد فاني يا سيداتي وبأخواتي الأعزاء أراني وأنا في موقعي هذا منسحرة الصدر بتشريفكم منزلي اجابة لدعوتي بالحضور الى هذه الحفلة المراد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوى أختها الغربية في الحضارة والارتقاء أقول الارتقاء ويعلم الله اني لا أريد بقولي هذا أنها في انحطاط أو مهضومة الجانب أو أنها لا تصلح للرقى، حاشا فالمرأة الشرقية كانت ولا تزال عزيزة الجانب أهلا لكل فضيلة غير أنها ينقصها الآن اتقان العلم والعمل به اتقاناً ينهض بها الى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكفي. مثال ذلك ان كثيرات من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بناتهن المدارس وصرفن المصاريف الجمة ولكن ذلك لم يأت بالغرض المروم لانهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فتراهن يتكلمن باللغات وبأيديهن الشهادات ولسكنهن اذا اجتمعن فلا حديث لهن الا الأزياء والخياطات والحرائر والدنتيلات والاعجاب بالأزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الاكثر رواجاً بيننا الآن . فماذا يؤخرنا اذاً يا حضرات الفاضلات وكلكن من المتعلمات الراقيات ولله الحمد عن النهوض نهضة علمية عملية والتعاضد جميعاً على البحث فيما يلزم لهذا الرقي ونحن الآن في عصر النور والاصلاح. فلماذا قد اجتمعنا للمذاكرة في هذا الشأن الخطير وتقرير ما يلزم للهداية الى الطرق التي توصلنا الى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) واني اسأل الله ان يكال عملنا هذا بالنجاح وان يوفقنا جميعاً لما فيه النفع والاصلاح . وان شاء الله سألتني في الاجتماع القادم محاضرة ادبية ابين فيها الادواء وما يلزم لها من الدواء لترقية الاخلاق والافكار والله المستعان

ثم دعت الكاتبة المحيطة صاحبة مجلة فتاة الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية اخلاق المرأة الشرقية فالتفت خطاباً مفيداً كان له اجمل وقع في نفوس السيدات وصفقن لها مراراً وما زلن يتسامرن ويتجاذبن الحديث في مواضيع ادبية مفيدة ثم انصرفن شاكرات ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالمداومة على الحضور فيها

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ تصحيح كتاب الاغاني ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد صحح في نسخته من كتاب الاغاني المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يعثر عليها عند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والايات من الشعر كتبها على الهوامش فني (محمد أفندي عبد الجواد الاصمعي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنقيطي بعد ان صحح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقفها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاحد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله مبينا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراقات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعمين صفحة كبيرة كصفحات الاغاني ، وكل من ينظر في كتاب الاغاني المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنقيطي ، لذلك جازمت بأن الشنقيطي لم يصحح الكتاب كله بل بعض ما كان يعثر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد ، وأن تصحيح زكي باشا جاء كاستدراك عليه ، فهو مما خفي عليه أو مما ذهل عنه ، واتى أويد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلالة الفئية المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغاني التاسع من طبعة الساسي ، ففي هذه القصيدة أغلاط لا تحتمل التأويل ، وهي منشورة في الجزء الاول من المقدم الفريد ، ومن راجعها عليه يرى بين ما فيه وما في الاغاني اختلافا كثيرا وزيادة ونقصا ، والشنقيطي كان مطلعا على المقدم الفريد فلو كان ملتزما بتصحيح الاغاني لصحح غلط القصيدة وأشار الى ما خالف رواية الاغاني فيه رواية المقدم ، ومن التصحيح فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشاتية الى مملها باللوح والكثف

صحفت كلتا « صيفاوشاتية » في الاغاني بجعلهما « صيفاوشاتية » ومن التعريف فيها قوله

٥١٢ تصحيح كتاب لسان العرب . الكوكب [المنار: ج ٨ م ١٩]

« والحق في طرف والعين في طرف » حرفت فيها كلمة العين المراد بها النقد بكلمة العين؟ هذا و ننا نشكر الاديب الاصمعي هذه الخدمة التي لا ينقص من قدرها ما ذكرنا من الحقيقة، وننصح لكل مقتن لكتاب الاغانى بتصحيح نسخته على هذه الجداول تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الافريقي أعظم معاجم اللغة التي أتصفنا بها المطابع ولكن فيه غلطا طبعيا كثيرا ، على كونه قد طبع بالمطبعة الاميرية التي هي خير المطابع العربية تصحيحا، وأذكر أنه لما سافر الاستاذ الامام سفره الاخير الى تونس والجزائر وصقلية وأوربة أنا بنى عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود الشنقيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من أغلط لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الاميرية في تصحيح المخصص فأخطوا ، وقليلًا من الاغلط التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الاعتماد على بعض الروايات المرجوحة في اللغة . وقد انتدب صديقنا أحمد بك تيمور الباحث اللغوي الشهير بتدقيقه وسعة اطلاعه لجمع ما تيسر له من تلك الاغلط وتصحيحها وكان ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلتي الضياء والآثار، ثم جمع شمل تلك المقالات وزاد عليها ما عثر عليه بعد نشرها ، وأذن ل محمد افندي عبد الجواد الاصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها - وهو القسم الاول من التصحيح - فطبعه ووعد بنشر ما اطالع عليه من تصحيحات الامام الشنقيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البليدي أيضا، فنشكره هذه العناية.

الكوكب

جريدة سياسية أدبية أسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب السكبر ذات ثمانى صفحات مطبوعة طبعًا جميلًا بحروف المطبعة الأميرية الجديدة ، موضوعها تنشيط الحركة العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة الى القيام بمثل ما قام به عرب الحجاز للقضاء على سلطة الترك وتقليص ظلم غير الظالمين عن سائر البلاد العربية ، والظاهر ان لها موارد خاصة تستقي منها أخبار مساوى الترك وفضائلهم في سورية والعراق وكذا فضائل حلفائهم الالمان في أوربة ، وأنها كانت توزع في بلاد العرب دون مهر ، وأول عدد ظهر منها في مهر هو السابع عشر فقرضه المقطم ، ثم اطلعنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده . وثمن كل عدد من هذه الجريدة قرش مصري صحيح (١٠ مليات)